

مظاهرات 27 فبراير 1962 بورقلة

شهد الجنوب الجزائري في السنتين الأخيرتين من عمر الثورة التحريرية العديد من الأحداث التي ساهمت بشكل مباشر في الإسراع للتوقيع على اتفاقيات "إيفيان" والتمهيد لوقف إطلاق النار في 19 مارس 1962، ومن هذه الأحداث التي سجلها التاريخ في جنوبنا الكبير العديد من المظاهرات التي طالب من خلالها سكان الصحراء بوحدة الجزائر الترابية، وأن الصحراء جزء لا يتجزأ من الوطن الأم، ومنها مظاهرة 27 فبراير 1962 الحاشدة في ورقلة، التي دعت إليها قيادة الثورة لمواجهة تعنت الحكومة الفرنسية وتشبّثها بمبدأ تقسيم الجزائر إلى نصفين، شمالي بمنحه الاستقلال، وجنوبي يبقى تحت سيطرتها لاستنزاف ثرواته.

❖ زمان ومكان المظاهرة:

رداً على مناورة شارل ديغول الرامية إلى الترويج والدعاية لمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، وإرساله وفدا يضم مسؤولين فرنسيين إلى ورقلة. يهدف جس نبض الأهالي وتهيئتهم على قبول فكرة تأسيس جمهورية صحراوية مستقلة، قرّرت قيادة جبهة التحرير الوطني اتخاذ التدابير اللازمة لإفشال الاجتماع الذي حدّد بيوم 27 فبراير 1962.

وتنفيذاً لتعليمات قادة الثورة للناحية الرابعة - المنطقة الرابعة بالولاية السادسة، المتضمّنة لزوم تنظيم مظاهرة بمدينة ورقلة يشارك فيها مختلف فئات الشعب في صبيحة يوم 27 فبراير 1962، حدّد مكان التجمع بـ "سوق الأحد"، فقد اتخذ مناضلو المنطقة التحضيرات اللازمة لإنجاح العملية بتجنّدهم وتسخيرهم ما أمكن من الوسائل.

❖ أسباب المظاهرة:

- رفض المشروع الفرنسي المتضمن فصل الصحراء عن الوطن الأم.
- تمسك مواطني الصحراء بوحدة وطنهم وشعبهم.
- دعم موقف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المُمثلة في وفدها المفاوض للوفد الفرنسي بخصوص بنود اتفاقيات إيفيان.

❖ التحضيرات للمظاهرات:

قبل يوم واحد عن موعد وصول الوفد الفرنسي إلى ورقلة، وبعد تلقي مناظلي المدينة (ورقلة) تعليمات كتابية من قيادة الناحية الرابعة - المنطقة الرابعة بالولاية السادسة بخصوص تنظيم مظاهرة شعبية، سارع المعنيون وعلى رأسهم الملازم الثاني محمد شنوي ومساعدته عثمان حامدي والكاتب عبد الجبار، إلى تحرير خطابات إلى مشائخ المجالس البلدية لجهة التحرير الوطني المتواجدة عبر محيط مدينة ورقلة، وكان عددها 14 مجلسا بلديا، وقد تضمنت هذه الخطابات حثاً وتشجيع مواطني المداشر والأحياء للحضور والمشاركة بقوة في المظاهرات السلمية المزمع تنظيمها يوم 27 فبراير، وقد تمّ تبليغ هذه الخطابات إلى الجهات المعنية في سرية تامة من قبل مناظليين ومواطنين أوفياء للثورة يعملون في الإدارة الفرنسية نفسها.

❖ سير المظاهرة:

كانت التعليمات التي وردت إلى مختلف القرى والنواحي تقضي بتجمع الناس في "سوق الأحد" بوسط مدينة ورقلة، في انتظار ساعة انطلاق المسيرة على الساعة الثامنة صباحاً من يوم 27 فبراير الذي كان يُصادف يوم رمضان مبارك (23 رمضان 1381 هـ)، وهو اليوم الذي ستحط فيه الطائرة المُقلّة للوفد الفرنسي المُكلف بملف مشروع فصل

الصحراء، بأرضية مطار ورقلة، غير أنه تمّ تأخير زيارة الوفد الفرنسي إلى مقر عمالة الواحات خوفاً من حدوث انزلاقات قد تؤدي إلى فقدان السيطرة على الوضع، وعليه تمّ تأخيرها إلى الساعة الواحدة زوالاً، وهي مناورة فرنسية كان الهدف منها إرهاب الأهالي بطول الانتظار.

ونظراً لتقطن المسؤولين الثوريين لمناورة تأخير زيارة الوفد الفرنسي، طلبوا من المواطنين الالتزام بالهدوء والنظام، ومن التجار فتح محلاتهم ودكاكينهم مؤقتاً، واستمرت حركة المواطنين بالسوق عادية إلى غاية الواحدة زوالاً، عند رؤية تحليق طائرة الوفد الفرنسي باتجاه المطار، أُعطيت بعدها إشارة انطلاق المظاهرات من "سوق الأحد" باتجاه مقر استقبال الوفد الرسمي (إدارة نيابة العمالة)، حيث رُفعت الأعلام الوطنية، وردّت الألسن الأناشيد الوطنية الحماسية والشعارات المنددة بالمناورة الاستعمارية، والهتافات المؤيدة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الممثل الوحيد للشعب الجزائري.

❖ رد فعل السلطات الاستعمارية:

بعد لحظات قلائل من انطلاق موكب المتظاهرين، حاصرت القوات الفرنسية المُعززة بالدبابات والمدرمات ووحدات المشاة من اللفياف الأجنبي ورجال الدرك، مداخل ومخارج المدينة، المؤدية إلى مقر عمالة الواحات لتفريق المتظاهرين. وأمام استماتة الشبان، ومحاولاتهم اليائسة لإقناع السلطات الاستعمارية بسلمية المظاهرة، اشتدّ الاشتباك مع القوات الفرنسية، حيث استعمل المتظاهرون ما عندهم من وسائل الدفاع الذاتي، بينما استعملت القوات الفرنسية ضدّهم نيران رشاشاتها وسط الشوارع والساحات العامة إلى غاية غروب الشمس، مخلفة العديد من الجرحى إلى جانب سقوط شهيد المدعو الشطي لوكال.

❖ صدى المظاهرة:

بالرغم من قوة السلاح والنار التي سلطها عساكر الاستعمار على المتظاهرين، مما تسبب في عدد من الجرحى والشهداء، إلا أن الجميع شعر بوحدة الصف والموقف بالالتفاف حول قيادة الثورة ومُناهضة كل المشاريع الاستعمارية، وأمام هذه المظاهرة البطولية اضطر الوفد الفرنسي إلى مغادرة مدينة ورقلة والعودة خائباً نحو الجزائر دون أن يعقد اجتماعه مع بعض الشخصيات الفرنسية والجزائرية العميلة، التي حاولت تمرير المشروع الاستعماري المتضمن فصل الصحراء باسم سكان المنطقة.

ولمزيد من التأكيد على موقف سكان الصحراء من رفض المشروع الاستعماري -فصل الصحراء عن الوطن الأم - تواصلت المظاهرات الشعبية في كل من مدينة تقرت يوم 7 مارس 1962 حيث استأنفت المفاوضات بين الطرف الجزائري والفرنسي بإيفيان، تلتها مظاهرات أخرى بمنطقة الطيبات قرب مدينة تقرت وذلك يوم 13 مارس 1962، خلّفت عدد معتبر من الضحايا، حيث استشهد 11 شهيدا، إلى جانب عدد معتبر من الجرحى وكذا المعتقلين الذين رُجوا في معتقل دار (DOP) بتقرت ولم يُطلق سراحهم إلا بعد الإعلان عن وقف القتال.

لقد أُصيبت السلطات الاستعمارية بخيبة أمل كبيرة، حثّمت على الوفد الفرنسي المُفاوض في مباحثات إيفيان التي انطلقت من 7 إلى 18 مارس 1962، الاعتراف بالوحدة الترابية للجزائر بما فيها الصحراء، وباتفاق نهائي على وقف إطلاق النار بين الطرفين في 19 مارس 1962، وتسوية كل القضايا التي عطلت سير المفاوضات.